لانضمام مختلف الفئات الاجتماعية الى المقاومة، وصولاً الى شمولية مشاركة هذه الفئات في الانتفاضة الكبرى، الامر الذي يؤكد الطابع الوطني العام للثورة الفلسطينية.

الاطار الاجتماعي التقليدي

حين بدأ الاسرائيليون احتلالهم للضفة الفلسطينية وقطاع غزة، كنتيجة لحرب حزيران (يونيو) ١٩٦٧، لم يكن الاطار الاجتماعي التقليدي يتيح مناخاً مناسباً لتصعيد المقاومة، سواء المسلّحة او المدنية. فعلى الرغم من ان الشعب الفلسطيني في الضفة والقطاع واجه الاحتلال بالرفض التام، الاّ ان الاطار الاجتماعي العام لم يكن ملائماً لدعم المقاومة المسلّحة التي نظّمها بعض الفصائل الفلسطينية، وفي مقدمها «فتح»، امتداداً لخطها الثوري الذي بدأ في الاول من كانون الثاني (يناير) ١٩٦٥. وللاطار الاجتماعي أهمية قصوى للمقاومة المسلّحة، لأنه يمثّل مصدر الدعم الحقيقي لهذه المقاومة، والمجال الحيوي لحمايتها. فهو، بالنسبة الى الفدائيين، بمثابة «البحر بالنسبة الى السمك» كما تقول عبارة ماوتسي تونغ الشهيرة. فلم يكن الكثير من العائلات التقليدية في الضفة بالاساس، وقطاع غزة أيضاً، على استعداد لتحمّل اعباء المقاومة، خاصة بعد ان أبدت سلطات الاحتلال رغبتها في الحفاظ لهذه العائلات على مواقعها وامتيازاتها. كما لم يكن ارباب هذه العائلات مهيأين للتصدي للقوة المحتلة، لافتقادهم الى قيادة متماسكة على مستوى الاقليم كله، سواء في الضفة أو القطاع. فكانت السياسة الاردنية تجاه الضفة، والى حد ما السياسة المصرية تجاه قطاع غزة، قبل العام ١٩٦٧، تسعى الى قصر نفوذ ودور رؤساء العائلات على مناطقهم فقط، وتحول دون تجاوزهم لهذه الحدود، حتى لا تظهر قيادة وطنية للضفة، أو للقطاع، في الوقت الذي عملت على دمج مصالحهم في النظام الاردني. ولذلك، تمّ تقسيم الضفة الى ثلاثة أقاليم ادارية (القدس، واريحا، ونابلس) وتفتيت كل اقليم الى مقاطعات فرعية، مستقلة ذاتياً بسلطات محدودة وتتبع مباشرة وزارة الداخلية في عمّان[١].

ومع ذلك، فقد اتجهت هذه النخبة التقليدية الى تقديم نفسها كقيادة للحركة الوطنية، وسعى وجهاؤها الى تجاوز مناطقهم المحلية ليشمل نشاطهم الضفة بأسرها، والى توحيد جهودهم لمواجهة الاحتلال بالاساليب السلمية في الاساس، وهي الاساليب التي لجأت اليها هذه الطبقة تاريخياً في مواجهة الاحتلال البريطاني، والاستيطان الصهيوني. فيشير تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية الى ان «طبقة الوجهاء» لم تشارك في هذه الحركة مشاركة فاعلة، على الرغم من ادراكها الكامل للخطر الذي تمثّله الحركة الصهيونية والهجرة اليهودية على فلسطين. فقد اقتصر دورها، عادة، على التحرك الدبلوماسي الهادىء.

ويصف احد دارسي تاريخ الحركة الوطنية الفلسطينية التقسيم الاجتماعي للعمل في صفوف هذه الحركة بقوله: «كان الوجهاء يقومون بدور الدبلوماسيين، والطبقات الوسطى المتعلمة تقوم بدور التعبير عن الرأي العام، بينما يقوم الفلاحون بدور المقاتلين الفعليين في المعركة ضد الوجود الصهيوني»[٢]. ومع ذلك أكد بعض المصادر ان عدداً من عناصر هذه الطبقة حملوا السلاح وقاتلوا مع الفلاحين، في الثلاثينات والاربعينات، وفي مقدمهم الشهيد عبدالقادر الحسيني، قائد جيش الجهاد المقدس في حرب العام ١٩٤٨[٣].

وقد اتخذ العمل الدبلوماسي، الذي مارسته هذه الطبقة، شكلاً مؤسسياً لأول مرة العام ١٩٣٦ بتأسيس الهيئة العربية العليا من ٣٢ عضواً، ينتمي ٢٨ منهم الى الارستقراطية المالكة